

الإمارة المعدانية العربية في مكران
(340-571هـ/951-1175م)

دراسة تاريخية حضارية

THE ARAB MUADANIA EMIRATE OF MAKRAN (340-571 " AH/951-1175 AD) A HISTORICAL AND CULTURAL "STUDY

د. محمد حسن محمد إمام الباشا¹

Abstract:

This is the study of Muslim rule in Mukran during (951-1175). It is a historical and cultural study based on sources. It starts from Isa bin Mudan al-Sahmi who established an independent rule in 951 then he distanced himself from the Abbade rule. They were Khawarij. But they were very kind and just rulers. They not only ruled over Mukran but also, left cultural impatcs on it. I hope this study will be liked by the readers.

KEYWORDS: Makran, Kyz, Sindh Al-Qiqan Al-Hukm Isa Mu'adan

الكلمات المفتاحية: مكران، كيز، السند، القيقان، الحكم، عيسى، معدان

الملخص:

يتناول موضوع البحث جانبًا تاريخيًا وحضاريًا مهمًا عند المسلمين في مكران، ويركز على ما بلغه المسلمون في هذه الفترة التاريخية (340-571هـ/951-1175م) من إسهامات حضارية، عندما نجح عيسى بن معدان السهمي أن يتغلب على مكران، ويؤسس بها إمارة عربية مستقلة عام 340هـ/951م، حيث تمكن من ضبط الأمور بها، وقد استقلت الإمارة بالنفوذ والسلطان عن الخلافة العباسية، فقد كانوا من الخوارج لا يدعون لأحد، وكان

¹ أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية بمينسوتا

الحكام المعدانيون عادلين منصفين شرفاء، ولما كان مذهبهم يعتبر ارتكاب الكبيرة كفرًا، فقد احتاطوا في حكومتهم وعدلوا في معاملاتهم.

المقدمة:

تُعَدُّ الإمارة المعدنية من الإمارات العربية الإسلامية التي لم تنل قدرًا مناسبًا من اهتمام الباحثين- حيث حكمت في مُكران لفترة من الزمن، يكاد يكون تاريخ هذه الإمارة وإسهاماتها الحضارية غير معروف عند كثير من الباحثين والدارسين في مجال التاريخ الإسلامي بصفة عامة.

ومن المؤسف حقًا أنَّ الدراسات التي تعرض لتاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في إقليم مُكران قد تكون شحيحة، حيث أن أحوال هذه الإمارة تغطيها حجب كثيفة، لهذا لم نستطع الحصول على أية تفصيلات مطولة عنهم، أو عن حكومتهم في مُكران.

ومما هو جدير بالذكر عندما شرعت في وضع دراستي تلك الموسومة بـ"الإمارة المعدنية العربية في مُكران (340-571هـ/951-1175م) دراسة تاريخية حضارية"، كان لا بد من الاعتماد على بيانات الرحالة والجغرافيين المسلمين- الذين دَوَّنوا بعض المعلومات القيمة عن الإمارة، إلا أنَّ هذه المعلومات شحيحة ومتناثرة في بطون المصادر العربية، سواء الجغرافية أو التاريخية، كذلك اعتمدنا على كتب الأنساب لسدَّ العجز والفراغ في المصادر السالفة الذكر، لإعطاء صورة واقعية وشبه متكاملة للإمارة.

وتدور محاور هذه الورقة البحثية حول النقاط التالية:

أولاً: الفتح الإسلامي لمُكران

ثانيًا: حكام الإمارة المعدنية

ثالثًا: مظاهر الحضارة في الإمارة المعدنية

المنهج المستخدم: يتناول موضوع البحث مادة تاريخية حضارية، وبالتالي يتناول الباحث المنهج التاريخي نسبة إلى تسلسل الأحداث التاريخية مع المنهج الوصفي، وذلك لوصف بعض مظاهر الحضارة في الإمارة، وما نتج من تفاعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أثرت كل منها على الأخرى، وبالتالي ظهرت الحضارة في الإمارة، مع استخدام الموضوعية الكاملة في نقل ما جاء على لسان المؤرخين في مدح أو ذم مكران، كما استخدم في الدراسة المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على شمولية النظرة، وكذلك المنهج التحليلي.

أولاً: الفتح الإسلامي لمكران²

يبدو أنّ مكران احتلت مكانة متميزة في الفكر العسكري العربي، لذلك لم يكن غريباً أن يفكر المسلمون في محاولة ضمها إلى دولتهم، حيث كانت هي البوابة التي تسهل لهم دخول العرب المسلمون بلاد السند،³ لكن الأمر لم يكن سهلاً بطبيعة الحال، فمحاولة فتح تلك المناطق عبر الطريق البري في عهد أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق (τ) (11-13هـ/632-643م) كان صعباً، وبدا الطريق البحري هنا أقرب الطرق لتحقيق هذا

² مكران: بالضم ثم السكون، وراء، وآخره نون أعجمية، يقع في بلاد السند، وكانت مكران ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى كثيرة، يحدها من الشمال سجستان، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق الهند، ومن الغرب كرمان. انظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله، ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م، ج 5، ص 179.

³ السند: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره دال مهمل، تسمية فارسية قديمة، وحدود هذا الإقليم من الشرق الخليج العربي، ومن الغرب حدود كرمان وصحراء سجستان، ومن الشمال جزء من أرض الهند، ومن الجنوب صحراء بين كرمان وبحر العرب. انظر: ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيب، ت 370هـ/980م)، صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ط 2، 1938م، ج 2، ص 317؛ الفزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار، صادر (د. ت)، ص 94.

الهدف، خاصة بعد امتداد النفوذ الإسلامي حتى السواحل العمانية، وبالتالي كان الانطلاق البحري منها هو أقرب الطرق للوصول إلى تلك البلاد، ورغم ذلك رأى الخليفة عمر بن الخطاب (ؓ) تأجيل تلك المحاولة لفترة لاحقة، نظرًا لأن البحرية الإسلامية في هذه المنطقة لم تكن بالقوة التي تستطيع حمل جيوش لفتح هذه المنطقة.⁴

لكن الخليفة عمر بعد مضي سنوات اقتنع بقوة المسلمين، وأمر بتجهيز قوات برية لا بحرية لفتح السند عن طريق فارس حتى يضمن سلامة الجيش الإسلامي، وفي عام 17هـ/638م أعطى لواء إقليم مكران إلى الحكم بن عمرو الثعلبي،⁵ فلم يستطع هذا القائد المسير حتى دخلت سنة 18هـ/639م فأمدته الخليفة بجيش آخر من أهل الكوفة، ومع ذلك لم يتهياً سيرهما إلا عام 22هـ/642م.⁶

وفي عام 23هـ/643م وصلت طلائع جيش الحكم بن عمرو الثعلبي إلى إقليم مكران، واستطاعوا الاستيلاء على معظم الإقليم، وسار الجيش الإسلامي إلى داخل بلاد السند حتى اقتربوا من نهر السند، وكان الجيش المكراني قد تقهقر معسكرًا على شاطئ نهر السند مستعدًا لمهاجمة المسلمين مرة أخرى، كما أمدهم ملك السند بقوات كبيرة بقيادة الأمير

⁴ محمد نصر عبد الرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1424هـ/2003م، ص23.

⁵ هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن خريم بن الحارث بن نعيلة - ثعلبة بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الثعلبي الغفاري، له صحبة ورواية. انظر: ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1962م، ج1، ص186؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1409هـ/1988م، ج2، ص474.

⁶ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ/922م): تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1977م، ج4، ص180؛ المستوفي (حمد الله بن أبي بكر، ت 750هـ/1349م): نزهة القلوب، بسعي واهتمام لسترانج، لندن، 1919م، ص141.

راسل حاكم ولاية من ولايات السند الذي عبر النهر، فالتقى بالمسلمين في معركة عظيمة، وانتهت بانتصار المسلمين وقتل راسل وعدد كبير من جيشه، بينما تقهقر باقي الجيش المكراني، فتبعهم المسلمون وهزموهم ثم رجعوا إلى مكران.⁷

وكتب الحكم بن عمرو الثعلبي إلى الخليفة عمر بالفتح وبعث إليه بخمس الغنائم مع القائد صحار العبدي،⁸ واستأمره في الفيلة التي وقعت في أيدي المسلمين، وعندما وصل إلى الخليفة سأل صحار أن يصف له بلاد السند، فلما وصفها بالأهوال والمصاعب قال: "والله لا يغزوها جيش لي ما اطلعت"، وكتب إلى الحكم بن عمرو الثعلبي بقوله: "لا يجوز مكران أحد من جنودكما واقتصر ما دون النهر"،⁹ وقد ظل الجيش الإسلامي باقياً في مكران، وفضل الخليفة عمر عدم التوغل داخل السند حتى استشهد في نهاية هذه السنة نفسها 23هـ/643م.¹⁰

لما تولى الخليفة عثمان بن عفان (τ) (23-35هـ/643-655م) عمل على فتح السند، وأراد أن يبعث جيشاً لغزوها، ولكنه أراد أن يختبر أحوالها من جديد، فأرسل إلى عبد الله

⁷ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، ت 808هـ/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت، 1971م، ج 2، ص 113-123.

⁸ هو أبو عبد الرحمن صحار بن عباس، وقيل: عياش، وقيل صخر بن شراحيل بن منقذ بن حارثة وينتهي نسبه إلى عبد القيس العبدي، له صحبة ورواية، وكان بليغاً لسنناً، وللمزيد عنه انظر: ابن سعد (أبو عبد الله البصري، ت 230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968م، ج 4، ص 356.

⁹ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الملقب بعز الدين، ت 630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، بيروت، 1965م، ج 3، ص 45-46؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 113، 123.

¹⁰ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 4، ص 182-183؛ محمد عبد الحليم صاحب شرر: تاريخ سنده، الهند، لكهنو، (د. ت)، ص 87؛ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، القاهرة، مكتبة الآداب، (د. ت)، ج 1، ص 55-56.

بن عامر بن كرزب والي العراق- يأمره أن يوجه إلى السند من يستكشف تلك المنطقة، فوجه إلى مكران حكيم بن جبلة العبدي،¹¹ فلما جمع المعلومات عن تلك البلاد ثم عاد أوفده عبد الله بن عامر إلى الخليفة عثمان- الذي سأله عن أحوال تلك البلاد، فوصفها بالمخاطر والمصاعب التي تحيط بالجيش الإسلامي إذا دخلها.¹²

وتذكر الروايات التاريخية أنّ الخليفة عثمان قد بعث ثلاثة أمراء من قبله إلى مكران، فأقاموا فيها وضبطوا أمرها وهم عبيد الله بن معمر التيمي¹³ الذي أرسله إلى مكران عام 29هـ/849م، فتوغل فيها حتى بلغ نهر السند، ثم عزل عن مكران وتولّى مكانه عمير بن

¹¹ حكيم بن جبلة: بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف، ويقال: بضم الحاء وفتح الكاف، ويقال أيضًا: جبل وجبلة، أحد الأشراف، ولاء عثمان بن عفان على إقليم مكران فترة من الزمن، ثم نزل البصرة، وهو من كبار التابعين وكان من أعوان علي بن أبي طالب. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص56. ¹² ابن خياط (خليفة بن خياط بن أبي هبيرة، ت 240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط 3، 1403هـ/1983م، ص180؛ الكوفي (علي بن حامد بن أبي بكر، ت 613هـ/1216م)، فتحنامه سند "ججنامه" تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1992م، ص83؛ البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان، تحقيق: نجيب الماجدي، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1428هـ/2008م، ص384، وجميعهم متفقان لكن الطبري ذكر هذا الوصف على لسان صحار العبدي الذي أرسله الحكم بن عمرو الثعلبي حاكم مكران إلى الخليفة عمر. انظر: الطبري، المصدر السابق، ج4، ص264. وتبعه ابن الأثير، ولكن الباحث اعتمد على ابن خياط والبلاذري والكوفي الذين جعلوا هذا الوصف في عهد الخليفة عثمان وعلى لسان حكيم بن جبلة العبدي، لأنهم أقدم زمنًا من الطبري وأقرب إلى عهد الخلفاء الراشدين والأحداث.

¹³ هو عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب التيمي. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج 2، ص129.

عثمان بن سعد¹⁴ ثم تولى بعده سعيد بن كندير بن سعيد القشيري، والذي ظل واليًا على مكران حتى استشهاد الخليفة عثمان عام 35هـ/660م.¹⁵

هكذا نرى لأول مرة أن مكران صارت جزءًا من الخلافة الراشدة، حيث كان فيها التولية والعزل من قبل الخلافة، وقد توافد العرب على هذه البلاد وبنوا المنازل، وعمروا الأرض وحفروا القنوات وأدوا العشر إلى الخلافة.¹⁶

وفي أوائل عام 39هـ/659م أرسل الخليفة علي بن أبي طالب (35-40هـ/655-660م) الحارث بن مرة العبدي¹⁷ قائدًا على جيش المسلمين الذي تقرر إرساله لمكران، وبعد أن وصل بجيشه إلى مكران، سار إلى مدينة قنّداييل¹⁸ واستولى عليها ثم سار إلى القيقان، وقد استعد من أهلها عشرون ألفًا للحرب، فاشتبك الفريقان في معركة دامية

¹⁴ هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو صحابي مشهور، وكان أبوه ممن شهد بدرًا. ابن سعد: المصدر السابق، ج 3، ص 251؛ قال المباركوري: لعل عمير بن عثمان بن سعد هو عمير بن سعد بن عبيد. انظر: المباركوري: رجال السند والهند إلى القرن السابع، القاهرة، دار الأنصار، ط 1، 1398هـ/1979م، ج 2، ص 345

¹⁵ الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 266؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 2، ص 493، ولكنه خلط عندما ذكر أن الخليفة عثمان بن عفان مات وعمران بن الحصين على مكران وابن كندير القشيري على كرمان.

¹⁶ المباركوري: رجال السند والهند، ج 1، ص 22

¹⁷ هو الحارث بن مرة العبدي بن عبد القيس، كان أحد أجواد الإسلام، ومن فرسان علي بن أبي طالب وقواده، وأبلي بلائًا في حرب صفين عام 37هـ/657م. انظر: الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت 282هـ/895م)، الأخبار الطوال، بغداد، مكتبة المثنى، (د. ت)، ج 2، ص 252

¹⁸ قنّداييل: بالفتح ثم السكون والبدال المهملة، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء ولام، وتسمى اليوم كنداوه تقع في منطقة قلات. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 402؛ المباركوري: رجال السند والهند، ج 1، ص 37.

انتهت بانتصار المسلمين، وأسر الآلاف من القيقانيين،¹⁹ قال البلاذري: "وقسم في يوم واحد ألف رأس وحمل على خمسمائة فارس". وفي هذا الوقت استشهد الخليفة علي (ت) عام 40هـ/660م، فعاد الجيش الإسلامي إلى مكران؛²¹ مما شجع الأعداء من جديد على مهاجمة المسلمين في مكران، وكان على الحارث أن يلقاهم في قيقان عام 42هـ/622م،²² لكنه استشهد في المعركة مع معظم جنوده لقلّة عددهم، واضطر من بقي منهم العودة إلى حاضرة الإقليم.²³

ومنذ فتح مكران عام 23هـ/643م فتح باب جديد في تاريخ الإسلام، كما فتح باب مشرق في تاريخ الإقليم بصفة خاصة، وبلاد السند والهند بصفة عامة، وقد كان ذلك انقلابًا عظيمًا في تاريخ حياة شعوب تلك المنطقة، حيث بدأ الإسلام يشق على أهلها.²⁴

ولما قامت الدولة الأموية (41-132هـ/661-749م) حاول الأمويون أن يثبتوا دعائم الحكم الإسلامي في مكران باعتباره الجبهة الحقيقية للاستيلاء على بقية بلاد السند،²⁵ وقد

¹⁹ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص 191؛ الكوفي: فتحنامه سند، ص 84-85

²⁰ فتوح البلدان، ص 282

²¹ شرر: تاريخ سنده، ص 101؛ حازم محمد أحمد محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1425هـ/2004م، ص 14

²² ابن خياط: المصدر السابق، ص 191

²³ البلاذري: المصدر السابق، ص 283

²⁴ عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، باكستان الحالية، تقديم أبي الحسن الندوي، جدة، عالم المعرفة، ط 1، 1983م، ج 1، ص 346؛ مسعود الندوي: نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان، القاهرة، المطبعة السلفية، 1372هـ/1953م، ص 12

²⁵ محمد نصر عبد الرحمن: العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، ص 32.

حفل بداية العصر الأموي بعدد من المعارك التي كانت بين المسلمين وأهل مكران، والتي كانت ما بين كر وفر وهزيمة ونصر.²⁶



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International \(CC BY-NC-SA 4.0\)](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)

²⁶ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1990م، ج 8، ص 262.